الكرسي الرسولي

الزّيارة الرّسوليّة إلى الأوروغواي والأرجنتين والبيرو

6-17 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

عظة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في القدّاس الإلهيّ

في عيد سيّدتنا مريم العذراء سيِّدة الثّلاثة والثّلاثين

في المزار الوطنيّ- فلوريدا

الأحد 8 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

[Multimedia]

أيّها الأبناء والبنات الأعزّاء في أرض الأوروغواي،

بحماسٍ كبير ألتقي بكم هنا اليوم، بالقرب من سيّدتنا مريم العذراء، سيّدة الثّلاثة والثّلاثين. جئتُ حاجًّا لأشارككم الإيمان والمحبّة اللذين نظر بهما هذا الشّعب، على مدى أجيال، إلى أمّ الله. ومع الذين قدِموا من أماكن مختلفة، وإلى الذين اعتادوا الحجّ إلى هذا المكان منذ سنوات، وإلى الذين يأتون إليه اليوم للمرّة الأولى، أحيّيكم وأعانقكم بحرارة، وأوكلكم جميعًا إلى حماية سيدّتنا مريم العذراء.

كلمة الله تضع أمامنا اليوم امرأتَين عاشتا في زمَنَين مختلِفَين جدًّا، واللتَين حلّتْ على كلّ منهما بركة تكاد تكون واحدة. قيل ليهوديت، بعد أن تحرّر شعبها: "باركَكِ، يا بُنَيّة، الإلهُ العَلِيّ فوقَ جَميعِ النِّساءِ اللّواتي على الأَرض" (يهوديت 13، 18). وبعد قرون كثيرة، استقبلت أليصابات مريم في بيتها وهتفت قائلة: "مُبارَكَةٌ أَنتِ في النِّساء!" (لوقا 1، 42).

أدرك التّقليد المسيحيّ، منذ وقت مبكّر، هذه الصّلة بين المرأتَين. فرأى في يهوديت امرأةً لم تستسلم للخوف في وقت عصيب مرّ به شعبها. فاتّخذت، بالصّلاة والصّوم، قرارًا عرّض حياتها للخطر (راجع يهوديت 8-10). وعندما تحقّق النّصر، لم تنسبه يهوديت إلى نفسها، إذ كانت تعرف حقّ المعرفة مَن خلّص إسرائيل، فقالت: "أنشِدوا لإلهي بِالدُّفوف رَنِّموا لِلرَّبِّ على الصُنوج" (يهوديت 16، 1). لذلك جاءت كلمات شعبها في استقبالها عظيمةً إلى حدّ كبير: "أنتِ مَجدُ أُورَشَليم!

الإصغاء اليوم إلى هذه الكلمات أمام شفيعة هذا البلد يكتسب دلالة خاصّة. هذه الأيقونة الصّغيرة مرتبطة بمرحلة حاسمة من تاريخ الأوروغواي. ففي سنة 1825، لجأ الذين كانوا يناضلون من أجل حرّيّة هذه الأرض إلى مريم العذراء أيضًا، ليضعوا تلك البداية تحت حمايتها. وتذكّرنا هذه المبادرة بأنّ تاريخ الشّعوب كلّها لا يمكن فهمه فهمًا كاملًا إن استُبعد الله منه. وهكذا، منذ إحدى اللحظات التأسيسيّة للوطن، ارتبطت الأوروغواي ارتباطًا وثيقًا بسيّدتنا مريم العذراء. ومنذ ذلك الحين، تعاقبت أجيال مختلفة، وتبدّلت الظّروف، بل تغيّرت أيضًا علاقة كثير من الأوروغوايانيّين بالإيمان. أمّا مريم العذراء، فبقيت هنا. وبينما كانت ترافق مسيرة هذا الشّعب، كانت نساء أخريات في بيوت كثيرة هنّ اللواتي حافظن على الإيمان ونقلنه إلى أبنائهنّ.

أفكّر في الأمّهات اللواتي وضعن كلمات الصّلاة الأولى على شفاه أبنائهنّ، وأخذنهم إلى المعموديّة، وأعدَدْنهم لقبول الأسرار المقدّسة، وعلّمنهم عيش المحبّة المسيحيّة. وأفكّر في الجدّات اللواتي حافظن على مذبح صغير في البيت، وصلّين من أجل الأحياء والأموات، وجعلن حضور الله ملموسًا في تفاصيل الحياة اليوميّة. ونجد أمرًا مشابهًا منذ الأزمنة الأولى للكنيسة: فقد كان وراء إيمان طيموتاوس اسمان لامرأتَين. إذ يذكر الرّسول، بمحبّة، جدّته لُئِيس وأمّه أَوْنِقَة، اللتَين سكن فيهما أوّلًا ذلك "الإيمان بِلا رياء" الذي كان بولس يعترف بوجوده فيه أيضًا (راجع 2 طيموتاوس 1، 5). والكتاب المقدّس لا يقول إلاّ القليل عن هاتَين المرأتَين. لكنّنا نعلم أنّ الإيمان الذي تعلّمه طيموتاوس في البيت كان هو المنبع الذي تغذّى منه مَن سيصير معاونًا وثيقًا للقدّيس بولس (راجع أعمال الرسل 16، 1-3).

وتحمل هذه الأرض أيضًا أسماء نساء منقوشة في تاريخ إيمانها. ومن بينهنّ القدّيسة ماريا فرانسيسكا روباتو (María Francisca Rubatto)، التي أرادت أن تبقى بينكم وتخدم هنا أشدّ النّاس احتياجًا. وهناك أيضًا الطّوباويّتان الشّهيدتان دولوريس (Dolores) وكونسويلو أغيار ميلا (Consuelo Aguiar-Mella)، وهما أختان وُلدتا في مونتفيديو (Montevideo). إنّها قصص حياة مختلفة جدًّا، لكنّنا نجد في حياة كلّ واحدة منهنّ أمانةً بلغت أقصى الحدود.

غير أنّ القسم الأكبر من هذا التّاريخ لم يُدوّن في الكتب، بل انتقل بصمت من جيل إلى جيل داخل العائلات. وعندما يتساءل الإنسان عن مصدر الإيمان الذي يحمله في داخله، يظهر مرارًا اسم امرأة معيّنة: أمّ، أو جدّة، أو عرّابة، أو راهبة، أو معلّمة تعليم مسيحيّ. ولعلّنا لا نتذكّر جميع الكلمات التي قيلت لنا، لكنّنا نتذكّر كيف كنّ يصلّين، وكيف كنّ يتحدّثن عن الله، وبأيّ قناعة كنّ يعشن ما يعلّمننا إيّاه.

أودّ اليوم أن أتوجّه بالشّكر إلى جميع تلك النّساء. شكرًا لكنّ لأنّكنّ آمنتنّ، ولأنّكنّ أبقيتنّ الطّريق إلى الله مفتوحًا في عائلات كثيرة. لقد استطاعت بعضكنّ القيام بذلك مستندةً إلى تقليد عائليّ عريق توارثته الأجيال، فيما اضطُرّت أخريات إلى الحفاظ على هذا الإيمان بجهد أكبر، وربّما من دون أن يجدن دائمًا تفهّمًا أو دعمًا داخل بيوتهنّ. وأعلم أنّ كثيرات يحملن ألمًا ملموسًا واقعيًّا: علّمن أبناءهنّ الصّلاة، لكنّ هؤلاء الأبناء لم يعودوا يصلّون اليوم. كنّ يذهبن معهم إلى القدّاس، لكنّهم بعد ذلك لم يدخلوا كنيسة منذ سنوات. وتحدّثن إلى أحفادهنّ عن الله، لكنّهنّ لا يعلمن الآن هل تركت تلك الكلمات أيّ أثر في نفوسهم. وأحيانًا يتساءلن هل أخطأن في شيء، أم هل ضاع كلّ جهد بذلنه؟ اسمحن لي بأن أذكّر هنا بالقدّيسة مونيكا. فقد عرفت هذا الألم حقّ المعرفة. صلّت سنوات طويلة من أجل ابن بدا أنّه يبتعد عن الله أكثر فأكثر، ولم تكفّ عن الثّقة بالنّعمة. لذلك، لا تعتبروا أنّ ما زرعتموه قد ضاع. فالرّبّ يسوع نفسه علّمنا أنّ البذار يمكن أن تنمو من دون أن يعرف الزّارع كيف يحدث ذلك (راجع مرقس 4، 27).

أيّتها الأمّهات والجدّات، لا تتعبن من نقل الإيمان! بشّرن به بحياتكنّ، وكذلك بكلامكنّ. وكونوا مِلحّات في الدّعوة إلى الصّلاة والمحبّة والرّجاء. أِلحُّوا في ذلك في وقته وغير وقته (راجع 2 طيموتاوس 4، 2). افعلن ذلك بصبر، ومن دون قسوة أو استسلام لليأس. حتّى إن بدا أحبّاؤكنّ بعيدين عن الله، فواصلن وضعوهم أمامه. ولا تتوقّفن عن مباركتهم ومرافقتهم وتذكيرهم ببساطة بما حصلتم عليه يومًا. فهناك أبواب لا تستطيعون أنتنّ فتحها، لكنّ الله يستطيع ذلك.

أودّ أن أتوجّه أيضًا إلى الرّجال، إلى الآباء والأجداد. إنّ أبناءكم وأحفادكم يحتاجون إلى أن يروا أنّ للإيمان مكانةً حقيقيّة في حياة رجال عائلاتهم. اقتدوا بالقدّيس يوسف، الذي تولّى مهمّة تنشئة يسوع، فاصطحبه إلى الهيكل، وعلّمه العمل بأمانة ونزاهة، وأراه أنّ الله يجب أن يحتلّ المرتبة الأولى في حياة الإنسان. أيّها الآباء والأجداد الأعزّاء، الشّباب

الكتاب المقدّس يدعو الشّعب إلى أن تبقى الكلمات التي تلقّاها من الله راسخةً في القلب، وإلى أن يعلّمها أبناءه، متحدّثًا بها "إذا جَلَستَ في بَيتِكَ وإذا مَشَيتَ في الطّريق وإذا نِمْتَ وقُمْت" (تثنية الاشتراع 6، 6-7). فقد كان لله مكان في أحاديث البيت وقراراته وحياته اليوميّة. وهكذا كان الأبناء يتعلّمون أنّ الإيمان الذي تلقّوه من آبائهم هو أيضًا ما يعيش آباؤهم من أجله. وكذلك فإنّ الأساقفة والكهنة والأشخاص المكرّسين مدعوّون إلى أن يسندوا العائلات في هذه المهمّة، بممارسة أبوّتهم وأمومتهم الرّوحيّة بسخاء، ومرافقة المتردّدين، ومساعدة كثيرين ليجدوا من جديد طريق الله.

نَقلُ الإيمان، الذي تلقّيناه نحن أنفسنا، يعني أن نقود الآخرين إلى المسيح. مريم العذراء تُرينا تحديدًا كيف نفعل ذلك. ففي الإنجيل، استقبلتها أليصابات وهتفت قائلة: "مُبارَكَةٌ أنتِ في النِّساء! وَمُبارَكَةٌ ثَمَرَةُ بَطنِكِ!" (لوقا 1، 42). لكنّ مريم العذراء لم تحتفظ بذلك المديح لنفسها. فأليصابات أعلنتها مباركة، وهي تجيب بالإشادة بعظمة الله (راجع لوقا 1، 46-55). وفي قانا، عندما لجأوا إليها، وجّهتهم إلى ابنها قائلةً: "مَهما قالَ لَكم فافعَلوه" (يوحنّا 2، 5).

القدّيس بولس، في القراءة الثانّية، يعبّر صراحةً عن حقيقة تعلنها كلّ حياة مريم العذراء: "لِأَنّ اللهَ واحِد، والوَسيطَ بَينَ اللهِ والنّاس واحِد، وهو إنْسان، أي المسيحُ يسوع" (1 طيموتاوس 2، 5). إنّ كلّ سموّ مريم العذراء ينبع من علاقتها بالمسيح: فهي تقبله، وتحيا به، وتقود الآخرين إليه. وهذا اللقاء بالسّيّد المسيح هو غاية كلّ عمل بشارة بالإنجيل وكلّ تكريم مريميّ أصيل. لقد بذل ابن الله نفسه من أجل الجميع، فيجب ألاّ يُستثنى أحد من صلاة الكنيسة. لذلك يطلب منّا القدّيس بولس أن نصلّي "مِن أجْلِ المُلوكِ وسائِرِ ذَوي السُّلْطَة" (1 طيموتاوس 2، 2)، ومن أجل جميع النّاس، لأنّ الله "يُريدُ أن يَخْلُصَ جَميعُ النّاس" (1 طيموتاوس 2، 4).

في عيد شفيعة الأوروغواي هذا، لنضع هذا الشّعب بأسره أمام الله. ولنصلّ من أجل الذين تقع على عاتقهم مسؤوليّة حكمه، لكي يسعوا باستقامة إلى تحقيق الخير للجميع. ولنصلّ من أجل العائلات والشّباب والمتألّمين، والذين يشعرون بأنّهم بعيدون عن الله، والذين يحتاجون إلى العودة إليه وتغيير حياتهم.

القدّيس لوقا يبيّن لنا كيف تبدأ هذه الرّسالة. بعد أن حبلت مريم بابن الله، "قامَت فمَضَت مُسرعَة" (لوقا 1، 39). لم تنتظر حتّى أن تأتي أليصابات لتسأل عنها، بل انطلقت للقائها ودخلت بيتها حاملةً الرّبّ معها. وهناك، ارتكض الطّفل ابتهاجًا، وامتلأت أليصابات من الرّوح القدس (راجع لوقا 1، 41-44). هذه الخطوة التي خطتها مريم العذراء تشير أيضًا إلى الطّريق الذي يجب أن نسلكه. فلا يمكننا أن ننتظر دائمًا عودة الذين ابتعدوا من تلقاء أنفسهم. أوروغواي، يجب أن تبدئي مسيرتك! لا بدّ من دخول البيوت من جديد، والاقتراب من النّاس، والإصغاء إلى أسئلتهم، وحملهم إلى المسيح! كلّ واحد منّا يعرف إلى مَن ينبغي له أن يخطو هذه الخطوة: لعلّه ابن، أو صديق، أو جار، أو شخص توقّف عن الإيمان منذ زمن بعيد، أو لم تتح له قطّ فرصة الاقتراب من شخص يحدّثه عن الله.

لتسند مريم العذراء ملكة السّماء الذين يواصلون زرع الإيمان، ولتعلّمنا أن نعرف المسيح في الفقير والمريض والوحيد، وأن نحمله إلى حيث لا يزال غير معروف.

بعد قليل، سأضع "الوردة الذهبيّة" أمام هذه الأيقونة. أوَدّ بهذه المبادرة أن أكرّم مَن هي حقًّا "فَخْرُ نَسلِنا" (يهوديت 15، 9)، وأن أُظهر تحقيق الكلمات التي نطقت بها هي نفسها: "سَوفَ تُهَنّئُني بَعدَ اليَومِ جَميعُ الأَجيال" (لوقا 1، 48).

إلى مريم العذراء، قائدة هذا الشّعب ومرشدته، أوَدّ أن أكرّس هذه الأمّة من جديد، وأن أضع هذه الأرض وجميع سكّانها تحت حمايتها، وأن أتضرّع إلى الله لكي يحطّم، بشفاعتها القديرة، أعمال إبليس، ويصون الأوروغواي الحبيبة مِن كلّ ما من شأنه أن يُبعدها عن المسيح. لتكن هذه "الوردة الذّهبيّة"، المقدّمة علامةً على الإجلال والمحبّة البنويّة، تذكارًا لأبنائها أيضًا بأنّهم مدعوّون إلى الاقتداء بها: إلى محبّة المسيح كما أحبّته هي، وإلى حمله إلى الآخرين كما حملته هي. آمين.

* * *

تحيّة قداسة البابا لاوُن الرّابع عشر

في ختام القداس الإلهيّ

في ساحة كاتدرائيّة بازيليكا فلوريدا، المزار الوطنيّ لمريم العذراء سيِّدة الثّالثة والثّلاثين

الأحد 8 تشرين الثّاني/نوفمبر 2026

في ختام الاحتفال الإفخارستيّ، وقبل أن أودّع هذا البلد العزيز، أودّ أن أشكر جميع الأشخاص الذين جعلوا زيارتي ممكنة: السُّلطات المدنيّة والدّينيّة، والفِرَق التي تولّت تنظيم كلّ فعّاليّة، والمتطوّعين، والعائلات والجماعات المسيحيّة التي بذلت جهودها وأسهمت لكي نعيش معًا هذه الأيّام، وكذلك الأشخاص الذين رافقونا عبر وسائل الإعلام. قِيلَ لِي إنّ الأوروغواي، وإن كانت بلدًا صغيرًا نسبيًّا، فإنّ شعبها يتمتّع بقلب سخيّ، وهو قادر على تحقيق أمور كبيرة جدًّا. وقد تجلّى ذلك بوضوح بهذه الأيّام. لقد أعددتم كلّ شيء على أحسن وجه. أشكركم من كلّ قلبي!

تشاركنا بسعادة فرح الإيمان بالمسيح، ونحن شهود على أنّ هذا الفرح أخذ يزداد يومًا بعد يوم. ما عشناه في مونتفيديو (Montevideo) وبايساندو (Paysandú) وهنا في فلوريدا، يشعّ إلى سائر أنحاء البلاد والعالم. هذا هو منطق الإيمان: ما نلناه ونقدّمه مجّانًا، بنعمة الله، يتضاعف، ويفتح أفقًا جديدة، ويُغني حياتنا، ويُعطيها معنًى جديدًا. أيّها الإخوة والأخوات الأعزّاء في الأوروغواي، استمرّوا وضاعفوا الإيمان والرّجاء والمحبّة، وعيشوا الفرح المنبثق من لقائنا بربّنا يسوع المسيح وأعلنوه، فتجدوا في ذلك سبيلًا إلى حياة ملؤها الخير والإثمار.

بشفاعة سيّدتنا مريم العذراء، سيّدة الثّلاثة والثّلاثين، أطلب إلى الله أن يبارك شعب الأوروغواي، وأن يقوده على طول طُرق الوَحدة والسّلام. أحملكم في قلبي، وأطلب منكم أن تواصلوا مرافقتي بصلواتكم. شكرًا جزيلًا لكِ، يا أوروغواي!

****

© جميع الحقوق محفوظة – خاصّ بالفاتيكان 2026

Copyright © Dicastero per la Comunicazione - Libreria Editrice Vaticana